

ثُمَّ كَفَّ الْبُرَّةَ الْفُضْلَاءَ
بِتَفْسِيرِ سُورَةِ النَّسَاءِ
دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

إعداد

د/ محمد أيوب بن محمد يوسف عمر

عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

نشر وتوزيع دار البخاري

المدينة المنورة ت: ٠٨٣٤٠١٣٥

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزة والبقاء والرفعة والعلاء والمجد
والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء وتقدس عن الأمثال والنظراء، بين
للمهتدين معالم مراده ونصب لجحافل المُستفتِحين أعلام أمداده،
فأنزل القرآن الكريم على رسوله محمد - ﷺ - وأعجز بعجائبه وجعله
مصدقًا لما بين يديه ومُهَيِّمًا وأبرز آياته في الآفاق فظهر للمؤمنين
أنّه الحق، كما أنزل على أفضل رسول فبشّر بأن لهم قدم صدق، ثم
قيض لتبيينه أصحابه الأشداء الرُحَماء وأبان أسراره من بعدهم
العلماء الأكفَاء، فصلاة الله وسلامه على نبيه وحببيه وصفيه وخيرته
من خلقه محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء عدد ذرات
الثرى ونجوم السماء ورضي الله عن آله الأخيار وأصحابه الأطهار
وأتباعه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار، وبعد.

فإن الله - عز وجل - أرسل رسوله - ﷺ - بكتابه المبين، الفارق بين
الشك واليقين أَعْجَزَتِ الفُصَحَاء معارضته وأَعْيَتِ الألباء مناقضته
وأخرست البلغاء مشاكلته وجعل أمثاله عِبْرًا لمن تدبرها، وجعل
أوامره هدىً لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام وفرّق فيه
بين الحلال والحرام وكرّر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب
فيه الأمثال، وقصّ

فيه غَيْبُ الأخبار فقال تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " (١)^١.
جعل إلى رسوله - ﷺ - بيان ما كان منه مجملاً وتفسير ما كان منه
مشكلاً وتحقيق ما كان منه محتملاً. قال الله تعالى: " وأنزلنا إليك الذكر
لتبين للناس ما نزل إليهم " (٢) .

ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله - ﷺ - استنباط ما نُبِّه على معانيه
وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك
عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات " (٣) ، فصار الكتاب الكريم أصلاً وصارت السنة
المطهرة له بياناً، وأصبح استنباط العلماء أيضاً إيضاحاً وتبيانياً، والله - عز
وجل - أوجب على من خصّه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر
حقائق عبارته ويتفهم عجائبه ويتبين غرائبه وضح ذلك الرب - تبارك
وتعالى - في قوله: " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته " (٤)

ب

وفي قوله سبحانه: " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " (١)^٢.

^١ (١) سورة الأنعام آية ٣٨

(٢) سورة النحل آية ٤٤

(٣) سورة المجادلة آية ١١

(٤) سورة ص آية ٢٩

^٢ (١) سورة محمد (ﷺ) آية ٢٤

فאלلهم اجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبره حق تدبره، ويقوم بقسطه،
ويوفي بشرطه ولا يلتمس الهدى في غيره واهدنا لأعلامه الظاهرة
وأحكامه القاطعة الباهرة واجمع لنا به خيري الدنيا والآخرة، فإنك
سبحانك أهل التقوى وأهل المغفرة.

ولقد ألف في تفسير هذا الكتاب العزيز علماء أفذاذ وُفِّقوا لإصابة القول
في محكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره،
وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آيه وتفسير مشكله، وألهمهم
- سبحانه وتعالى - التمسك به والاعتصام بمحكمه والثبات على
التسليم لمتشابهه، وأوزعهم الشكر على ما أنعم به عليهم من حفظه
والعلم بحدوده، فرحمهم الله رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.

وإن أحق ما صُرِّفَتْ إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان
الله في العلم به رضىً وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدىً، ولا شك أن

أجمع ذلك لباغية كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (١)٣.

ثم إن لكل سورة من سور القرآن الكريم فضائل أوضحها علماء السنة في كتبهم وبعد اطلاعي عليها وجدت أن كل سورة تمتاز بفضائلها عن السورة الأخرى وفي كل سورة أمور عظيمة تدل دلالة واضحة على استحقاقه الكامل إفراد العبودية له وحده لا شريك له ولا رب سواه وعلى أنه خالق هذا الكون كله وموجد الإنسان من العدم وأن كل ما سوى الله باطل لا محالة، وهذا ما يلزم كلَّ مسلم ومسلمة أن يدين الله به. وإن من تلكم السورة التي اطلعت على فضائلها ورأيت أنه من الواجب إيضاح ما ذكره المفسرون في تفسيرها بأسلوب مبسط - قدر المستطاع - (سورة النساء) وذلك لاشتمالها على تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم من صلة الأرحام والرفق بالضعفاء واليتامى ومراعاة حقوق النساء بإقامة العدل في معاملتهن والإشارة إلى عقود النكاح والصدّاق وتشريع قوانين المعاملة مع النساء وكيفية معاشرتهن والمصالحة معهن ومعرفة المحرمات من النساء وأحكام الجوّاري بملك اليمين وأحكام المواريث وأحكام القتل العمد والخطأ والتحذير من اتباع الهوى والأمر بالبر والمواساة والحرص

د

٣ (١) استنباط من آية رقم ٤٢ من سورة فصلت

على أداء الأمانات وأحكام الطهارة والصلاة بأنواعها وبيان بعض من أحوال اليهود والمنافقين، وذكر بعض من أحكام الجهاد مع المشركين وإبطال ما اعتادته الجاهلية في جاهليتهم وغير ذلك مما سأتولى توضيحه وبيانه في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى (١)^٤.

وهذه الأمور كلها تحتاجها الأمة المحمدية ولا يمكن أن تحيد عنها أبدًا لأنها من أعظم الأمور التشريعية التي تخصها، ولأجل ذلك كله رأيت أنه من الواجب أن أذكر نفسي وإخواني وأخواتي من المسلمين والمسلمات بها علّهم يستفيدون منها ويعلمون بمضمونها ومكوناتها.

إضافة إلى أن في ذلك خدمة لكتاب الله الكريم ونفعًا واضحًا للعالم والمتعلم إن شاء الله تعالى.

واشتملت خطة هذا البحث - المتواضع - على مقدمة وجيزة تتعلق بتسمية السورة الكريمة ونزولها وترتيبها من بين سور القرآن الكريم وخلاف أهل العلم في عدد آياتها وما اشتملت عليه السورة الكريمة من أحكام وذكر بعض من فضائل السورة الكريمة. ثم الدخول بعد ذلك إلى دراسة تحليلية تفسيرية للسورة الكريمة أذكر فيها مناسبة الآية بالنسبة لما قبلها - إن وجدت - وسبب نزولها - إن ورد - وما يتعلق بتحليل الألفاظ العربية فيها وبيان وجوه الإعراب والبلاغة والقراءات وتوضيح المتواتر والشاذ فيها وذكر المعاني الإجمالية للآيات الكريمة ثم بيان أهم الأحكام المستفادة منها كل ذلك على

^٤ (١) انظر تفصيل ذلك في التحرير والتنوير ٤ / ٣١٠ وما بعدها ط

حسب ما يذكره علماء التفسير - رحمهم الله - . وقد تكتمل هذه الفقرات في بعض الآيات وتنقص في البعض الآخر، وأسُميت هذا الكتيب (تُحْف البررة الفضلاء بتفسير سورة النساء).

وقد بذلت ما في وسعي من طاقة - بتوفيق الله تعالى - وحاولت جاهداً إعطاء الآيات الكريمة حقها من التوضيح والبيان، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ أو نسيان أو زيادة أو نقصان فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك.

وقد سلكت هذا المسلك إلى نهاية السورة الكريمة وأنهيْتُ الكلام عنها بخاتمة وجيزة تشتمل على خلاصة هذا البحث ثم أتبعتها بالفهارس اللازمة المتعلقة بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية والمصادر والمراجع والموضوعات وخلافها راجياً المولى الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله مني باعتباره أول محاولة في بيان وتوضيح معاني الآيات القرآنية لسورة كريمة من سور القرآن، وأن يوفقني للعمل بها، إنه سميع مجيب.

وألتمس في النهاية من كل من يطلع على هذا الكتيب أن يتحفني بملاحظاته القيّمة وآرائه السديدة وستكون موضع القبول بكل صدر رحب إن شاء الله تعالى. فالمؤمن مرآة أخيه، والكمال لله وحده والعبد معرّض للخطأ ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى.

و

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى
آله وأصحابه ومن والاه.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د/ محمد أيوب محمد يوسف

عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة